جامعة ديالى : كلية العلوم الاسلامية
قسم العقيدة والفكر الاسلامي

المدارس الكلامية

المرحلة الثالثة

قسم العقيدة والفكر الاسلامي - كلية العلوم الاسلامية

الاستاذ الدكتور
مصطفى هذال خميس المجمعي

التعريف بالمدراس الكلامية

أولا : لماذا استعمل مصطلح مدرسة ؟

استعمل مصطلح مدرسة في مقابل الاتجاه أو المذهب أو الفرقة، وذلك لأسباب ، منها :

*يفضل اطلاق لفظ مدرسة على اتجاه لأنها أكثر تدقيقاً في ضبط التوجه الفكري الذي تحددت سماته على أيدي اتباعه .

*تم استبعاد استعمال كلمة مذهب لأن هذه الكلمة غالباً ما تطلق على المذهب الفقهي.

*تجنب استخدام مصطلح فرقة لأنه تعبير قديم استخدمه من كتب في الملل والنحل والعقائد، وفيه معنى التفرقة ، والإسلام نهى عن التفرق:قال تعالى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران:١٠٣] وقال جل من قائل(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى:١٣]

ثانيا: أهمية بيان المدراس الكلام

خُصت المدارس الكلامية بالبيان والايضاح ،لأن الموضوع يعني في الدرجة الأولى بالجانب العقائدي الفلسفي الإسلامي ، ويحاول تجنب الخوض في المسائل السياسية ،أو التوقف عندها كثيرا. ومعلوم أن مبحث الإمامة ، أساساً ،هو مبحث فقهي أضيف إلى علم الكلام لأن الشيعة – وهم مستحدثو هذا المبحث – جنحوا به إلى العقيدة وجعلوه أصلا من أصولهم الاعتقادية، بل ركيزة اعتقادهم ، وهو مجال الخلاف الرئيس بينهم وبين السنة وغيرهم.

ثالثا : تعريف المدراس الكلامية :

المدارس لغة : مفردها مدرسة وترد في لغة العرب بمعنى الموقع الذي يُدرس فيه والمُدرس هو الكتاب والمُدَارس هو الذي قرأ الكتب ودرسها ، والمدارس هو المكان الذي يدرس فيه القرآن ، ومِفعال من أبنية المبالغة في المكان ، وأصل الدراسة هو الرياضة والتعهد للنشئ، وقد وردت المدرسة في المعجم الوسيط بمعنى : « مكان الدرس والتعليم وأيضا بمعنى جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أو تقول برأي مشترك ، ويقال هو من مدرسة فلان على رأيه ومذهبه» .

كما ظهر من المعنى اللغوي أنّ المدرسة تطلق على معنيين :

أ.أسم مكان من الفعل دَرَسَ ، أي المكان الذي يحصل فيه الدرس والتعليم .

ب.ثم تطور لفظ المدرس فأطلق على جماعة بينها آراء مشتركة ، بغض النظر عن زمان أو مكان محدد. وهو ممّا أقرّه مَجْمَعُ اللغة العربية في القاهرة كما سبق .

المدرسة الكلامية اصطلاحا :

أما التعريف الاصطلاحي للمدرسة الكلامية التي أعني بها في هذا المبحث

١.عرفت في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها : « جماعة تربطهم معتقدات معينة وكثيرًا ما تعزلهم عن غيرهم فيكونوا مجتمعًا مغلقًا، وقد يفتحون الباب لمن عداهم من الفرق الاسلامية ».

٢.وعرفها الدكتور محمد عمارة بقوله : « بانها تنظيمات سياسية تميزت في المقالات (أي النظريات) وفي الوسائل التي اعتمدتها لوضع هذه (المقالات) في الممارسة والتطبيق ، فللخوارج مقالات ، ومنهج للوصول لتحقيق مقالاتهم ، وكذا الحال عند المعتزلة ، وعند الشيعة بفصائلها المتعددة .. » .

٣.وعرفها الدكتور فيصل بدير عون بقوله : «جماعة من علماء الكلام قد أجمعوا ، فيما بينهم ،على فهم الأصول (أو جلها) بطريقة تختلف عن تلك التي فهم بها البعض الآخر هذه الأصول بعينها ».

٤.وعرفها اسماعيل حفيان بقوله : «أعني بها تلك الاتجاهات الفكرية والتيارات السياسية التي ظهرت عقب أحداث الفتنة الكبرى بين الإمام علي ومعاوية وما تلاها من صراعات ونزاعات ، وهي تيارات ذات مشرب سياسي ومنزع فكري نابع من تقدير مختلف لمسألة الاحقية بالخلافة ، وشروطها ، وقواعدها ، وطرائق سياستها ، أو نظر متباين لقضايا عقدية فقهية» .

٥.وعرفها الدكتور عمار جيدل بقوله : « بأنها جماعة اسلامية يربطهم فهم المعتقدات الإسلامية المعلومة فهما مميزاً نتج عنه مواقف نظرية في المعرفة ومباحث التوحيد والنبوات والسمعيات (والجبر والاختيار..) والإمامة ، ويكّونون من جرّاء ذلك مجتمعا متميّزا مفتوحاً على غيرهم إلا من شذ منهم».

والتعريف المختار هو التعريف الخامس ، وذلك لأنه يستشف من ألفاظه الملاحظات الآتية :

١.لفظ "الجماعة "يحترز به من الواحد وإن كان عالماً، فلا يمكن أن نطلق عليه لفظ مدرسة مهما كانت منزلته في الثقافة الكلامية أو العامة .

٢."إسلامية" يحترز بها من المدارس غير الإسلامية كالنساطرة واليعاقبة من النصارى ، والزرادشتية والمانوية من المدراس الفارسية ، والبراهمة من الهنود .

٣."يربطهم فهم المعتقدات" يحترز بها من اجتماع المدارس الكلامية قاطبة في مدرسة واحدة لقولهم بنفس المعتقدات في كلياتها .

٤."مواقف نظرية " يخرج به قول العامة أو أقوال العامة ومن لف لفهم ،لأنهم وإن اجتمعوا على رأي واحد لا يقال فيهم مدرسة ، لأن ضابط المدرسة أن يترتب على رأيهم السابق نظرية في المعرفة ينتج عنها مواقف حركية وسلوكية في دنيا الناس ، ويشهد لذلك استعمال المؤرخين لمصطلحات تفيد عدم الاكتراث بقول العامة . ولعل أبرز ما شاع استعماله من تلك الألفاظ الرعاع ، الدهماء ، السواقة ...

بدايات ظهور المدارس الكلامية وتطوراتها

يُعدّ علم الكلام من أهم العلوم التي ظهرت في الملة الاسلامية بغرض الدفاع عن العقيدة الاسلامية ونشرها بين غير المسلمين ، و يُعدّ بحق الفلسفة الاسلامية الأصيلة.

وقد مرّ هذا العلم في تطوره – متساوقاً مع حالة المسلمين - بأطوار خمسة هي :

١.طور نشأة علم الكلام وتحديد موضوعاته : وهذا ابتدأ من القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث، في هذه المرحلة نشأ هذا العلم مع واصل بن عطاء (ت١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (ت:١٤٤هـ) ، "وعلى وجه التقريب على يد المعتزلة لا نستطيع تحديد ذلك على وجه الدقة؛ لأن الفصل بين الأطوار المختلفة لا يخضع لدقة التحديد الرياضي ".

وهذا الطور طور تدوين وظهور المدراس الكلامية، وصار لكل مدرسة حلقات خاصة واتجاهات واضحة ، ولم يكن علم الكلام في هذا الطور معترفاً به من علماء الإسلام ، فقد كان المحدّثون وأئمة الفقه ينفرون الناس من الاقتراب منه .

٢.طور الاكتمال والنضوج : وقد استغرق هذا الطور القرون (٣ ،٤، ٥ هـ) وفيه توسعت مواضيع العقيدة الاسلامية التي ظهرت في وقت النشأة ، كما توسع المنهج المستعمل في الاستدلال ليشمل المنهج العقلي والنقلي وشرع المتكلمون في استخدام المنهج والمباحث الطبيعية في الاستدلال على مسائل العقيدة ، وفي هذا كثرت المؤلفات في علم الكلام وقام رجاله بدور الدفاع عن العقيدة توضيحا وإثباتا ورداً على المطاعن والشبهات ، فقام علماؤه بدور جبار في حفظ العقيدة، ودحر الأعداء ، ولكنه في هذا اتجه بعض العلماء الى استخدام المنطق كمنهج له فاستخدموا أساليبه ومزجوا علم الكلام بالفلسفة فنمت مصطلحات علم الكلام وازدادت ارتباطاً بالفلسفة بعد أن كانت في مجملها قرآنية فقهية .

٣.طور التنظيم والترتيب : وهذا الطور استغرق القرون من السادس إلى الثامن الهجري،هذا الطور لم يكن فيه إبداع كبير ولكنه امتاز بالترتيب والتبويب المنهجي .

٤.طور الجمود والتقليد : وهذا الطور استغرق القرون من التاسع إلى الثالث عشر ، وفي هذه المرحلة تقوقع أغلب العلماء على ما ألفه السابقون شرحاً واختصاراً وتحشية، وهنا كاد يتعطل دور علم الكلام الدفاعي .

وقد ساد في هذه المرحلة أسلوب الحواشي والتقارير الملحقة بالمتون القديمة وشروحها من أمثال ميرزاخان ، والسيالكوتي ، والخيالي، والعصام وأمثالهم في الأوساط السنية . وقطب الدين الشيرازي وغيره في الاوساط الشيعية وقد خلت هذه المرحلة من الابداع والعطاء وركنت إلى التقليد والاتباع والاجترار( ). وقد عبر محمد عبده عن هذه المرحلة بدقة قائلاً :« لم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاورا في الألفاظ ، أو تناظراً في الأساليب ».

فصار علم الكلام في الغالب عبارة عن استدلالات منطقية جافة ، ومصطلحات متكررة لا علاقة لها بما تتعرض له العقيدة الإسلامية من مطاعن جديدة .

٥.طور البعث والتجديد وعودة الوعي : وقد بدأت هذه المرحلة منذ قرن من الزمن ويبدو أن الدافع إليها إنما هو شدة التحدي للعقيدة الإسلامية الذي ظهر في الغزو الاستعماري والثقافي الغربي للمسلمين ، وكان هذا التحدي مدعماً بأحداث ما توصل اليه العقل الغربي في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية ، فأدرك بعض المسلمين خطورة الوضع واستلزام التجديد العقدي في الموضوع أو في المنهج ، وذلك بالتسلح بسلاح العلم واستخدام وسائل إقناع العقلية الجديدة باستدلالات جديدة تناسبها بدل الاستدلالات القديمة أو المنهجية القديمة التي صارت غير ملائمة .

بيد أن الهجمة الغربية لم تكن هي العامل الوحيد لتحريك الأوضاع الثقافية والفكرية الغافية ، فقد قامت حركات النهضة الحديثة بعوامل ذاتية دفعت العقل المسلم الى أن يتململ من واقعه البائس العقيم ، ويستوحي ماضيه العظيم ،كما نجده عند السنوسي والمهدي والشوكاني والقاسمي وابن باديس وولي الله الدهلوي والافغاني ومحمد عبده وغيرهم من الدعاة والمفكرين المعاصرين.

كيف ندرس المدارس الكلامية

إذا أردنا معرفة كيفية دراسة المدارس الكلامية لا بد لنا أن نقف عند غايات هذا العلم وفوائده (أي علم المقالات أو علم الفرق) ،وغايات دراسة هذا العلم وفوائده تتنوع بتنوع زوايا معالجة موضوعه ، ومن هنا كان لابد من عرض تفصيلي لمجموع الغايات .

١. الغاية الوظيفية :

تقرير الأسس المعرفية التي تبنى عليها الأصالة الحضارية للأمة يقتضي تخلية العقول والقلوب وتنقيتها من المعرفة الدخيلة وهذا يفرض الخوض في المشاكل المعرفية المعاصرة ، التي لأغلبها – كما هو معلوم –أصل ثقافي سابق ،كان لسلفنا شرف الرد عليهم وبحثه بشكل يثير الاعجاب والنخوة للدفاع عن ميراثنا الثقافي بتوظيف تلك الردود . إن من أهم ما يقتضي المطارحة الموضوعية التمييز بين الأصيل والدخيل في المسألة الثقافية والحضارية، ودراسة المدارس الكلامية يخدم هذا المقصد ويساهم بشكل واضح في تمييز الأصيل من الدخيل ، كما يسهم في الفصل بين الديني المستمر البقاء عن الزمني الوقتي المرحلي الذي يبطله أو يصوبه البحث الثقافي المعرفي الجديد أو المتجدد

مثال ذلك : بحث مسألة أصالة مذهب المعتزلة ، وقد قيل فيه ما قيل ، فهل نبقى مكتوفي الأيدي مسلّمين بما قاله كل من سبق؟ أم أننا يجب أن ندلي بدلونا لعلنا نظفر بموقف جديد يجمع بين آراء سابقة أو يتبني وجهة نظر جديدة .

٢. الغاية المعرفية التفصيلية :

دراسة المدارس الكلامية بمنهج موضوعي مؤسس على تقوى الله ، سيفضي في الغالب الأعم بصاحبه الى المعرفة الحقيقية لأسباب الاختلاف بغرض توقيها ، والكشف عن دواعي الخلاف التي يتشبث به بعض علماء المدارس الكلامية . ومن الأمثلة على ذلك (سوء الفهم للنصوص الشرعية ،الجهل بمقاصد الشريعة ، التقديس للعقل او التفريط بمنزلته ، اتباع الهوى، استبداد الحكام).

٣. معرفة مقاصد الشريعة :

الحكم على الشيء جزء من تصوره ، لهذا لا يتسنى الحكم على درجة انضباط مدرسة كلامية أو أخرى بالمقاصد إلا اذا عرفنا المقاصد المعتبرة عند الشارع الحكيم .

وبهذا يمكن معرفة أسباب إهمالها أو الجهل بها لدى المدارس الكلامية حين التعامل مع النص أو أحداث الزمان .. وأوضح مثال على ذلك قول البعض عن تساؤل المعتزلة عن مسائل الذات والصفات أو ما يقرب منها مخالف لمقاصد الشارع .

٤. معرفة دور العقل :

شاع في بعض المدارس الكلامية الافراط في العقل كما شاع في شطر آخر التفريط فيه ، لهذا يجب العمل على معرفة دور العقل في الاسلام ، لأنه بمثابة المعرفة الحاسمة لدور العقل مع النص (المتيقن من صحته عقلا) .

ولعل أبرز ما يمثل به في هذا السياق ما قيل في مغالاة المعتزلة ومحققي الاشاعرة في العقل ، وفي مغالاة فريق آخر ضد العقل ، واتخاذ موقف موضوعي من الفريقين ، وهذا يفرض قراءة المدرستين والحكم الصادر في حقهما ثم المقارنة والترجيح .

٥. التنبيه الى محتوى الدراسات الشرقية .

أهتم المستشرقون بدراسة المدارس الكلامية من زاويتي المنهج والموضوع فذهب بعضهم إلى مناصرة مدرسة كلامية على حساب أخرى ،ومال آخر إلى نقيض ذلك الرأي ..وهكذا دواليك ، وفحص مختلف الآراء وتحليلها تحليلا موضوعياً ، يسمح بفهم خبرات أسلافنا فهماً صحيحاً بطريقة مباشرة تلغي كل الوسائط غير الأمينة أو المشبوهة .

ما موقفنا من المدارس الكلامية الاسلامية

إن المدارس الكلامية التي سنتحدث عنها في فصول لاحقة هي مدارس كلامية منسوبة إلى الإسلام دَاخلةٌ في الْمِلَّة ، ولذا تُسمّى المدارس الكلامية الإسلامية ، وهذا يَعني أنه لا يَجوز إخراج أي منها عن حظيرة الإسلام ، ولا يَوجد أحد من الثِّقاة من أئمة المسلمين مَن حَكَم على أي من هذه المدارس بالكفر. ومستند كلام الأئمة ودليلهم ما يأتي :

أولا: الدليل النقلي : ما صَحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (مِن أنَّ مَن لقِي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة . من ذلك حَديثُ أَبي عَمْرَةَ الأَنْصاريُّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنِّي رَسولُ الله ، لا يَلْقَى اللهَ عَبْدٌ يُؤْمِنُ بِهِما إِلاَّ حُجِبَتْ عَنْهُ النَّارُ يَوْمَ الْقيامَة».

وحَديثُ أَنسٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يَقُولُهَا أَحَدٌ صَادِقًا إِلَّا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ النَّارُ» ، وحَديثِ مُعَاذِ بن جبَلٍ رضي الله عنه: «مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّة» .

ثانيا : القاعدة الأصولية : تقول: كل تأويل لنص من القرآن الكريم أو الحديث مهما كان بعيداً لا يَزجُّ الإنسان في الكفر ، والمدارس الكلامية التي ظهرت ابتعد بعضها عن المنهج الصحيح عن طريق تبني منهج التأويل ، ولكنّ علماء الشريعة الإسلامية لم يُكفِّروا أحداً منهم .

ثالثا: الموقف التاريخي من المدارس الكلامية.

لم تُكفّر الدولة المسلمة أيّاً من المدارس الكلامية التي ظَهرت فيها ، بل وقفت منها موقف الحوار والمناقشة ، وتاريخ العصر الأموي والعباسي مَليءٌ بأخبار تلك المناقشات التي كانت تجري في كثيرٍ من الأحيان بإشراف الخليفة ، إذ كان يَدعو الفرقاء للمناقشة ويستمع إلى السِّجال بينهم ، ولم يُعرف أن نِقاشاً تَطوَّر ثم تَحوَّل إلى مُهاترةٍ في الكلام أو مُجارحةٍ باللِّسان ، وإنما كانت المناقشات علمية منضبطة بقواعد العلم النظري . وهناك بَعض الكتب التي جَمَعت هذه المُناقشات والحِوارات في ذلك العصر ، ككتاب "الحَيْدة" ، الذي فيه مَجالس من المناقشات الممتعة بين الذين يقولون: إن كلام الله عز وجل مخلوق ، وبين الجمهور الذين يقولون: إن كلام الله تعالى قديم ، وهكذا فإنَّ هذه المدارس الكلامية سادت ثم بادت عن طريق الحوار ، ولو أنها قُوبِلَت بسلاح العنف والتكفير لانتهى الأمر إلى تمزّق الدولة المسلمة .

نظرة عامة إلى المدارس الكلامية الاسلامية (حديث الافتراق)

أختلف المتكلمون في الأخذ بالحديث في المجال العقائدي لأسباب بعضها مبرر وبعضها قالوه بدافع التشهي وهيمنة الأهواء ، ولعل أبرز ما أثر في وضع المنهج الكلامي هو حديث الافتراق

أولا : حديث الافتراق

أَنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلى إِحْدى وَسَبْعينَ فِرْقَةً ، وافْتَرَقَتِ النَّصارى عَلى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلى ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَة» . وقد رواه التِّرمذِي بزيادة: «كُلُّهُمْ في النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً واحِدَة» قالوا: وَمَنْ هيَ يا رَسولَ الله ؟ قالَ: «ما أَنا عَلَيْهِ وأَصْحابي» .

ثانيا : نقد العلماء للحديث : من العلماء من نقد الحديث وضعفه، ومن هؤلاء :

•ابن حزم الظاهري : الذي ذهب الى القول بعدم صحة الحديث أصلاً من جهتي السند والمتن ،وقد مال الى هذا الرأي ودافع عنه في كتابه " الفصل في الملل والاهواء والنحل"، لهذا لم يأبه به في تصنيف المدارس الكلامية، فركز في بيان موقفه منها على المعتقدات نفسها ومحاكمتها الى ما قطع به من أحكام ومعارف . قال ابن حزم : « ذكروا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدرية والمرجئة مجوس بهذه الأمة وحديثا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة قال أبو محمد هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به ».

•ابن الوزير اليمني : رجح صحة الحديث باستثناء «كلها في النار إلا واحدة» ودافع عنه في كتابه " العواصم من القواصم "، حيث حذر من الاغترار بزيادة «كلها في النار إلا واحدة» قال ابن الوزير : « وإياك والاغترار بـ " كلها هالكة، إلا واحدة " فإنها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة لا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة.».

•الامام الصنعاني : أقر بافتراق الأمة مع القول بعدم صحة الحديث على الاطلاق ، حيث قال : «إن الزيادة بقوله كلها هالكة إلا فرقة موضوعة وإنما الحديث المعروف إنها تفترق إلى نيف وسبعين فرقة ».

•العجلوني : ذهب إلى القول بصحة حديث آخر مشابه له في المبنى، ومخالف له في المعنى ، أسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : » افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة « وهم الزنادقة .قال العجلوني معلقاً على الحديث :« ورواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب ». وذكر الشيخ عبد الحليم محمود معلقاً على ما وجده في كتاب العجلوني إنه مما يدعو الى الارتياح ويثلج الصدور ، وقد مال الى هذا الرأي ودافع عنه من المتقدمين أبو حامد الغزالي.

ثالثا: موقف المدارس الكلامية من حديث الافتراق .

اختلفت المدراس الكلامية في الأخذ بحديث الافتراق، وقد كان لهذا الاختلاف أثر في موقف المتكلمين من المدارس الكلامية المخالفة من المسلمين .

١. مدرسة الحديث والأثر .

مالت هذه المدرسة إلى القول بصحة الحديث من أوله إلى منتهاه ،وحمل جماعة منهم لفظ الواحدة «إلا واحد » على سلف الأمة، والذي يراد به حسب تقديرهم منهج معين في التعامل مع النصوص الشرعية ، وقد مثل هذا الاتجاه ابن تيمية ، وابن القيم، ومن سار في فلكهم في الماضي والحاضر. قال ابن تيمية :« اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال: " تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي". فهذا الاعتقاد: هو المأثور عن النبي وأصحابه رضي الله عنهم وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية» .

٢. مدرسة الاشاعرة .

كما أخذ بحديث الافتراق جل أئمة الاشاعرة عبر التاريخ ، ومن هذا المنطلق جعلوه حديثا محورياً في مجموع مؤلفاتهم الكلامية ،إذ وضعوه ضابطا رئيساً في تقسيم المدارس الكلامية واتخاذ موقف منها .

٣- مدرسة الشيعة الإمامية :

أقرت الشيعة الامامية بصحة الحديث وجعلت نفسها الفرقة الناجية دون غيرها، وأنها هي المشار إليها في حديث الافتراق. فقد نقل ابن المطهر الحلي عن

شيخه النصير الطوسي أنه سئل عن المذاهب فقال: «بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقي في النار». وقد عين عليه السلام الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر متفق عليه، وهو قوله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف غرق». فوجدنا الفرقة الناجية هي: الفرقة الإمامية؛ لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد».

٤ـ مدرسة المعتزلة :

أقرت المعتزلة بصحة الحديث وزعموا أنهم أهل الحق وأنهم الفرقة الناجية، يقول مقدمهم وكبيرهم عمرو بن عبيد للخليفة المنصور - وقد سأله أن يعينه بأصحابه -: "أظهر الحق يتبعك أهله" ، يريد المعتزلة. فما على المنصور إذا أراد معونتهم إلا أن يرفع رايتهم ويظهر مذهبهم. ويستدلون على أنهم الفرقة الناجية برواية محرفة لحديث الافتراق فقالوا: روى سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم:« ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة»، ولعلهم شعروا بتفردهم بهذه الرواية فاتهموا سفيان بأنه قال لأصحابه: "تسموا بهذا الاسم لأنكم اعتزلتم الظلمة، فقالوا: سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه - قالوا -: فكان سفيان بعد ذلك يروي: واحدة ناجية" .

رابعا : موقفنا من حديث الافتراق .

إن المراد بالأمة في قوله صلى الله عليه وسلم : (وتفترق أمتي) أمة الدعوة لا أمة الاستجابة ، وعليه فإن المراد بالفرق التي تفترق إليها أمته هذه هي الأديان الباطلة الكثيرة الخارجة عن ملَّة الإسلام ، وليس المراد بها المدارس الكلامية من معتزلة ومُرجئة وجهمية وخوارج ... إلخ .

يدل على ذلك أمران اثنان:

أولهما: قوله صلى الله عليه وسلم في الزيادة التي ساقها الترمذي: (كُلُّهُمْ في النَّارِ إلاَّ مِلَّةً واحِدَة) ، وقد علمتَ أن الملة هي الدين ، ولا يُعبَّر عنها بالفِرقة ، وملَّة الإسلام تشمل كل الفرق التي تَكاثرت فيها ، لأن أصحاب الفرق على اختلافهم مؤمنون بوحدانية الله تعالى .

ثانيهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صدر الحديث: (افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة) ومقتضى بلاغة المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام ، وكونِه حُجَّة في البيان والفصاحة أن

يقابل كلمة اليهود والنصارى بكلمة المسلمين ، فيقول "وسيفترق المسلمون إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة" ، لكنه عَدَلَ عن كلمة "المسلمين" ، وإنما قال (وستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) ، والمراد بالأمة هنا أمة الدعوة لا أمة الاستجابة ، ومعنى (وستفترق أمتي) أي أمة الدعوة (إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) أي إلى أديان مختلفة متناقضة شتى ، والدليل الناطق على هذا أنه قال بعد ذلك: (كلهم في النار إلا ملة واحدة) ولم يقل "إلا فرقة واحدة" ، كلها في النار إلا ملَّة واحدة هي ملَّة الإسلام بكل فئاتها ، بكل مذاهبها ، بكل أقوامها ، الجامع المشترك بينهم أنهم كلُّهم يستظلُّون بظلِّ الإيمان بالله ، كلهم لهم هوياتهم التي يدخلون بها غداً في رحمة الله عز وجل ، ألا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذا الفَهم لكلمة الأمة في الزيادة التي ساقها الترمذي وآخرون ، ينسجم مع سياق الحديث وسِباقه ، ويفتح سبيل التوافق والانسجام مع الأحاديث الكثيرة المُؤكِّدة بأن من لقي الله مؤمناً بوحدانيّته لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة .

الفرق الاسلامية

الشيعة والمعتزلة واهل السنة والجماعة والخوارج والسلفية

اولا الشيعة

اولا تعريف مصطلح الشيعة لغة واصطلاحا .

الشيعة لها معان عدة في اللغة والاصطلاح نعرضها ثم نبين التعريف المختار .

أولا : الشيعة لغة : في اللغة معانٍ عدة لمصطلح الشيعة والتشيع كلها تأتي بمعنى المعين والناصر والمتبع وهي .

١. شايعه: تبعه وصحبه ، وأيده .

٢. شيع فلانا : خرج معه ليودعه ويبلغه منزله ، ومنه شيع الجنازة .

٣. تشيع : أنتحل مذهب الشيعة .

٤. الشيعة: الفرقة والجماعة ،وفي التنزيل العزيز :(ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) [مريم:٦٩] والأتباع والأنصار، وفي التنزيل العزيز : (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) [القصص:١٥] ويقال هم شيعة فلان وشيعة كذا من الآراء ،وفرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب علي وآله وأحقيتهم بالإمامة، قال الأزهري: «ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين »

ثانيا : الشيعة اصطلاحا : كذلك في اصطلاح علماء الفرق والمدارس الكلامية وردت معانٍ عدة للشيعة وسبب الاختلاف راجع إلى الفترة التي كتب فيها العلماء عن الشيعة ، ومن تلك المعاني .

١. يقول الأشعري : « وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً -رضوان الله عليه- ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

٢. وعرفها الشهرستاني : « الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده».

٣. وأما أبن حزم الظاهري، فقد عرف الشيعة بأنهم :« من وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم

بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا».

٤. وأما حقيقة الشيعة عند ابن خلدون فأوضحها بقوله :« يطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسّلف على اتّباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متّفقين عليه أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تفوّض إلى نظر الأمّة ويتعيّن القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبيّ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمّة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما ».

٥. ومن تعاريف علماء الشيعة ما عرفه النوبختي:« الشيعة وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها».

التعريف المختار :أرى أن أصوب التعريفات وأسلمها للشيعة " أنهم تلك الفرقة التي أدعت أحقية الأمام علي عليه السلام ورضي الله عنه بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وقدمته على غيره من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في الفضل " .

وسبب الترجيح : إن هذا التعريف جامع مانع فان كل فرق الشيعة متفقة على هاتين النقطتين ومختلفة في غيرها وهو ما يوافق تعريف العلامة أبو الحسن الأشعري.

ثانيا: نشأة التشيع

أما عن نشأة التشيع فقد تعددت آراء العلماء والمؤرخين للفرق والمدارس الكلامية حول الأسباب والعوامل التي ساهمت في ظهور التشيع وكل تلك الآراء نظرت للأسباب من زاوية معينة ونحن سنعرض أهم تلك الآراء .

١. إن التشيع ظهر مع بداية الرسالة : يرى الشيعة أن لب رسالة الإسلام هو التشيع وأن التشيع هو فكرة الإسلام الأصيلة، ولذلك يرى كثير من علماء الشيعة أن الإسلام والتشيع ظهرا في نفس اللحظة.

يقول المرجع الشيعي محمد آل كاشف الغطاء »: "إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنبا إلى جنب، وسواء بسواء..« .

ويقول محمد حسين الطباطبائي : « يجب أن نعلم أن بداية نشوء الشيعة، والتي سميت لأول مرة بشيعة علي أول إمام من أئمة أهل البيت – عليهم السلام – وعرفت بهذا الاسم، كان في زمن النبي الأكرم – صلى الله عليه وسلم -..«.

وهذا الرأي ليس لمتأخري الشيعة فقط كالطباطبائي وآل كاشف الغطاء وإنما قال به عدد من متقدمي علماء الشيعة كالنوبختي والقمي.

٢. إن التشيع ظهر بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم -.

أطلق بعض أهل العلم القول حول ظهور التشيع بالفترة التي أعقبت وفاة النبي عليه افضل الصلاة والسلام دون بيان أو تحديد في أي فترة كان، هل هو بعد حادثة سقيفة بني ساعده أم في خلافة أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما، ولعل المتأمل في هذا القول يرجح أن فكرة التشيع بدأت بالتبلور والظهور من بعد فترة وفاة النبي الكريم عليه افضل الصلاة والسلام والى خلافة عثمان رضي الله عنه بكل ما جرى فيها من وقائع وأحداث، يقول ابن خلدون :« اعلم أن مبدأ –ظهور التشيع – أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم.

٣. إن التشيع ظهر بمقتل الخليفة عثمان – رضي الله عنه -.

يرى عدد من العلماء أن الحدث الذي أظهر الشيعة وأخرجهم هو مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن العلماء الذين تبنوا هذا الرأي .

يقول العلامة محمد أبو زهرة:« وقامت الشيعة ظاهرة في آخر عصر الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه وقد نمت وترعرعت في عهد علي – رضي الله عنه – من غير أن يعمل على تنميتها...».

٤. إن التشيع ظهر يوم موقعة الجمل سنة (٣٦ هـ).

واقعة الجمل أو معركة الجمل هي من أهم الأحداث والوقائع التي جرت في صدر الإسلام، وكان لها دور كبير في التأثير على مسار الإسلام الحنيف، ويرجع عدد من العلماء ظهور التشيع إلى هذه الحادثة وما أعقبها من حوادث.

يقول أبن النديم : «إنه لما خالف طلحة والزبير علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصرا على المطالبة بدم عثمان – رضي الله عنه -، ووقع ما وقع بينهما وبين علي من قتال يوم الجمل تسمى أتباع علي – رضي الله عنه – حينئذ بالشيعة، وأن عليا نفسه كان يقول عنهم شيعتي».

٥.القول بأن التشيع ظهر بعد معركة صفين والتحكيم بين الامام علي ومعاوية سنة (٣٧ هـ).

وهذا ما يراه جمع من العلماء والكتاب أن التشيع ظهر في المرحلة التي أحتدم فيها الصراع والتنازع بين الإمام علي من جهة ومعاوية من جهة أخرى؛ فظهر في تلك الفترة مصطلح الشيعة حتى إن الإمام علي كان ينادي أنصاره بالشيعة.

٦.إن ظهور التشيع كان إثر مقتل الإمام الحسين – رضوان الله عليه -.

الإمام الحسين سبط الرسول – صلى الله عليه وسلم – وسيد شباب أهل الجنة، لما كانت الفترة التي تولى فيها يزيد بن معاوية الحكم خرج الإمام الحسين إلى الكوفة لما بلغه أن أهلها قد بايعوه فخرج لهم وفي طريقه اعترضه عبيد الله بن زياد وقاتله وقتل الإمام الحسين وسبعين من أهل بيته، وهذه الحادثة المؤلمة أبرز وأعمق حدث رسخ فكرة التشيع لآل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم.

الامامية الاثنا عشرية

أولا : أهم ما يميز الإمامية عن غيرهم من الشيعة .

وتؤلف الاكثرية الساحقة من الشيعة وإليهم ينصرف الذهن عادة عند اطلاق الشيعة ، حيث ساقت الإمامة في ذرية الحسين فقط ، بدءاً بعلي بن الحسين زين العابدين وانتهاء بالامام الغائب محمد بن الحسن العسكري المعتبر عندهم المهدي الغائب المنتظر. والذي يميزهم ويجمعهم القول :

١. **بوجوب الامامة ووجودها في كل زمان** : فالإمامة – في نظرهم- ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الأمة ويتعين القائم بتعينهم ،بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي اغفالها ولا تفويضها إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم .

٢. **النص والتعيين** : ترى الإمامية الاثنا عشرية أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علي رضي الله عنه أما نصاً جلياً واضحاً أو خفياً بالتلميح والاشارة في حياته ، ولهم في ذلك نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ، وتفيد عندهم حصول العلم اليقيني بها .

٣. **القول بعصمة الائمة** ؛إذ إن الإمام عندهم منزه عن الزّلل والخطأ قصداً أو سهواً أو نسياناً، بل هو يشكل القاعدة المركزية التي تقوم عليها مذهب الإمامة الذي بنى الشيعة عليه فكرتهم في الخلافة أو الإمامة ، ومن هنا فالإمامة ليست من

المصالح الدنيوية التي تفوض الى نظر الأمة ويتعين القائم بتعينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي اغفالها.

٤. واتفقت الإمامية الاثنا عشرية على أن الأئمة بعد الرسول أثنا عشر إماما ، ابتداء بالأمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الامام الحسن ثم الامام الحسين ثم الإمام علي بن الحسين زين العابدين ثم الإمام محمد بن علي الباقر ثم الإمام جعفر بن محمد الصادق ثم الإمام موسى بن جعفر الكاظم ثم الإمام علي بن موسى الرضا ثم الإمام محمد بن علي الجواد ثم الإمام علي بن محمد الهادي ثم الإمام الحسن بن علي العسكري ثم الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي المنتظر .

ثانيا : أصول الاعتقاد عند الامامية الاثنا عشرية

اتفق جمهور الشيعة الامامية الاثنا عشرية على أن أصول الدين خمسة ، وهي :

١. التوحيد

وهو الاعتقاد أن الله واحد لا شريك له ، وللتوحيد اربعة أقسام:

أ- **توحيد الذات:** وهو الاعتقاد بأن الله سبحانه لا شريك له في وجوب الوجود لذاته .

ب- **توحيد الصفات:** وهو الاعتقاد بأن الله لا نظير له في صفاته، وأنها عين الذات .

ت- **توحيد الربوبية والفعل** : وهو الاعتقاد بأن لا مؤثر في الوجود إلا الله فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والنافع والضار ..الخ .

ث- **توحيده في الالوهية والعبادة** : وهو أن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحداً (وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) [النساء: ٣٦] (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: ٦٥].

٢. العدل .

كما اعتمد الإثنا عشرية على المعتزلة في أصل التوحيد ، اعتمدوا عليهم كذلك في أصل العدل ، فهم يرون أن الله تعالى قادر على فعل الشر والقبيح ، ولكنه لا يفعل الشر ولا يفعل القبيح ، لأنه عدل حكيم ، بل الواجب في حقه أن تكون جميع أفعاله عادلة محكمة منزهة عن الظلم والسفه ، واقعة لغرض ومصلحة ، يقول محمد رضا المظفر : « ونعتقد أن من صفاته تعالى أنه عادل غير ظالم فلا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين ، وله أن يجازي العاصين ، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ،ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ، ونعتقد أنه سبحانه لا يترك

الحسن عند عدم المزاحمة ولا يفعل القبيح ؛ لأنه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح ، مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح ، وغناه عن ترك الحسن وفعل القبيح فلا الحسن يتصور بفعله حتى يحتاج الى تركه ، ولا القبيح يفتقر اليه حتى يفعله ، وهو مع ذلك حكيم لا بد أن يكون فعله مطابقا للحكمة ».

وقد ترتب على ذلك لدى الاثني عشرية قولهم بوجوب اللطف على الله تعالى ، وذلك بتوجيه عباده وجهة الخير والصلاح ، ومجانبة عصيانه من غير قسر ولا إكراه ، وليس المراد من وجوب اللطف أنه تعالى مأمور به ، ومفروض عليه من قبل الخلق ، وإنما المراد منه ضرورة اتصافه بهذا اللطف ، كضرورة اتصافه بوجوب الوجود، وهي نظرية اعتزالية أخذها الإثنا عشرية عنهم ولم تكن موجودة عند قدماء الشيعة .

٣. النبوة

النبوة عند الإمامية وظيفة الهية يختص الله بها من يشاء من عباده ،وهي لطف الله بعباده والمقصود باللطف هنا هو ما يكون معه العبد أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية والرسول يحقق تلك الفائدة ، ويشير إليه قوله تعالى) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى([طه: ١٣٤] فلا بد والحالة هذه من أن يرسل اليهم رسولا يبين لهم الأحكام ، ويعرفهم الحلال من الحرام ، ويقيم الحدود وينتصف للمظلوم من الظلم ويحكم بين الناس بالعدل (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[النساء: ١٦٥].

والواجب على المسلم هو الايمان بجميع الرسل -في الجملة -، والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة اذ هو المعتبر أصل من أصول الدين .

٤. الإمامة .

وهي رئاسة في أمور الدين والدنيا لشخص من الاشخاص نيابة عن النبي ، ويعتقد الشيعة أن الامامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماما للناس من بعده ، للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى اليه كالنبي ، وانما يتلقى الأحكام منه مع تسديد الهي ، فالنبي مبلغ عن الله ، والإمام مبلغ عن النبي .

٥. المعاد .

ومعناه أن الله يعيد الخلائق بعد الموت إلى الحياة الأخرى لتجزى كل نفس بما تسعى ، ويجب على المسلم أن يعتقد بأن الله يعيد الخلائق بعد الموت بأجسامهم وأرواحهم وعلى صورهم التي كانوا عليها في دار الدنيا للحساب والجزاء ، قال تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) [الزلزلة: ٧، ٨] .

ثالثا: أعيان التشيع

من أهم وأبرز متكلمي الإمامية :

١.هشام بن الحكم (ت:٢٠٠هـ)

أحد أعلام الفكر والمعرفة ومن أبرز الشخصيات الكلامية عند الشيعية، وكان معاصرا للإمام الصادق وولده الكاظم عليهما السلام ، وله عنهما روايات كثيرة ، من مؤلفاته كتاب (الإمامة) وكتاب (الرد على من قال بإمامة المفضول) وكتاب (اختلاف الناس في الإمامة) وكتاب في ال(الجبر والقدر) .

٢. الشيخ الصدوق (ت :٣٨١هـ)

هو الشيخ الاجل الاقدم أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ويعرف بالصدوق ، وابن بابويه ، ويطلق عليه وعلى أبيه الصدوقان ، وكان يعتمد المنهج الكلامي حيث برزت آراؤه في هذا المجال في ثنايا تأليفاته من خلال تفسيره المعروف بـ "تفسير القران" أو تفسير الصدوق "كما أن له في الحديث.

٣.الشيخ المفيد (ت: ٣٣٦-٤١٣هـ)

محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي ، زعيم الامامية ، المعروف بابن المعلم ،والملقب بالمفيد .وهو أكبر شخصية علمية في الفقه والكلام انتهت اليه رياسة متكلمي الشيعة ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب الإمامية ، وصف بالفطنة والبراعة ، ومن أبرز مؤلفاته:(أوائل المقالات في المذاهب والمختارات) ، وكتاب (شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد) .

٤. الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)

هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام والمعروف بالشريف المرتضى ، وبعلم الهدى ، وهو أكبر شخصية شيعية ظهرت في القرن الخامس الهجري ،تولى نقابة الطالبين في عصره ،فكانت له الصدارة عند الشيعة الامامية ،وكان فقيهاً متكلماً ، كما كان حاذقاً في المناظرة والجدل ، لازم الشيخ المفيد وأفاد منه كثيرا ، له من الكتب " الشافي في الامامة " و " الامالي " و" انقاذ البشر من الجبر والقدر " والتي تمثل اتجاهات الامامية الكلامية . و"الذخيرة في أصول الدين " .

٥. نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٣هـ)

محمد بن محمد بن الحسن الخواجة نصير الدين الطوسي سلطان الحكماء المدققين وقدوتهم في زمانه ، أحد عباقرة الامامية في الفلسفة والكلام والرياضيات ، له كتاب (تجريد الاعتقاد)،و(كتاب الجبر والاختيار) وكتاب (قواعد العقائد) .

٦. العلامة الحلي (ت:٧٦٢هـ)

الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ، ويعرف بالعلامة الحلي ، وهو أحد النوابغ الافذاذ ، أشتهر بعلم الكلام ، والحكمة ، والمنطق ، والطبيعيات ، وقد انتهت اليه زعامة الشيعة الامامية في عصره في المعقول والمنقول والفروع والاصول ، له كتاب (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) وغيره من الكتب الأخرى .

ثانيا: المعتزلة

مع بداية القرن الثاني الهجري أخذ علم الكلام ينضج ،وكان الفضل الأكبر في نضوجه للمعتزلة ، فأنهم وقفوا أنفسهم في موقف الدفاع عن الإسلام وكان مركزهم في الغالب العراق في بغداد والبصرة ، وكان العراق وقتها محطاً للثقافات الإنسانية ومركزاً للحضارات العالمية، واستقطبت بغداد والبصرة أنذاك انظار المثقفين وعناية المفكرين ،حتى أصبح من لم يمر ببغداد وأهلها فكأنه لم ير الدنيا ولم ير أهلها ،لأن الدنيا كانت بادية وبغداد كانت حاضرتها ، فكان الناس يتوجهون أليها ، ويقبلون عليها ، إذ إنها عش العلماء ودار السلام .

وفي هذا الوقت أيضاً كانت تتوافد على العراق مذاهب وملل وأديان صبت آراءها ومعتقداتها على أرض هذا العراق ، فكان لابد أن تشهد ساحة أرضه مجابهة في الآراء ، وصراعاً في الأفكار وامتزاجا في الأنظار .

ومن هذه المذاهب الوافدة الى بغداد والتي دعا اليها أصحابها سراً أو علانية مذاهب ألثنوية القادمة من فارس والهند القائلين بوجود إلهين ، ومثلهم البراهمة في الهند وغيرهم، فضلاً عن الديانات الاخرى كاليهودية ، هذا الى جانب كثير من المذاهب المختلفة الاخرى التي صبت بلاءها على المسلمين ، وكان أغلب أصحاب هذه المذاهب قد تثقفوا بالفلسفة اليونانية ، ومن ثم أخذوا يدعمون دياناتهم ومذاهبهم بها ، وكان ترك هذه المذاهب من غير مواجهتها معناه ترك ثغرة خطيرة في جبهة عقائد أهل الاسلام .

فلما جاء المعتزلة ليردوا على هذه المذاهب وينتصروا للاسلام اضطروا الى أن يتفلسفوا ليتسلحوا بسلاح خصومهم .

ومن المتأخرين يقول عنهم جمال الدين القاسمي :انهم أول من ظهر من الفرق الإسلامية في صدر حضارة الإسلام بقواعد الأصول والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول وفتح لأولي العلم باب النظر والتأويلات وانتصب للمجادلات والمناظرات وإنهم من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها أتباعا .

ويقول الأستاذ احمد أمين عنهم :إن المعتزلة هم الذين خلقوا علم الكلام في الإسلام وإنهم أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين ، ذلك انه في أوائل القرن الثاني للهجرة ظهر أثر من دخل في الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فكثير من هؤلاء أسلموا ورؤوسهم مملوءة بأديانهم القديمة لم يزد عليها سوى النطق بالشهادتين فسرعان ما أثاروا في الإسلام المسائل التي كانت تثار في أديانهم ، وكانت هذه الأديان قد تسلحت من قبل بالفلسفة اليونانية فهاجموا الإسلام وهو الدين الذي يمتاز ببساطة عقيدته فأثاروا حوله الشكوك مما حدا بالمعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم وان يجادلوهم جدالاً علمياً ويردوا ما أثار اليهود والنصارى والمجوس من شكوك .

ان الغزو الفكري الأجنبي على أهل الإسلام كان دافعاً رئيساً لانتهاض رجال المعتزلة ونشوء مدرستهم التي قامت بدور النضال العقائدي المخلص ضد المتوجهين بسهامهم الفكرية إلى الإسلام .

من اجل هذا نرى ان المعتزلة من كبرى الفرق الإسلامية أهميةً ومن أعظمها تأثيراً في الفكر الإسلامي ، بل هي المدرسة الكلامية الأولى التي جعلت للاستدلال العقلي مكانة محترمة في الفكر الإسلامي .

المعتزلة : فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات الدخيلة ، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، وأهل العدل والتوحيد .

ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال (٨٠هـ-١٣١هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقته بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة ، في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً) وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل الموت .

ولاعتماد المعتزلة على العقل في فهم العقائد وتقصيهم لمسائل جزئية فقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على المبادئ الرئيسة الخمسة ـ التي سنذكرها لاحقاً، وكل طائفة من هذه الطوائف جاءت ببدع جديدة تميزها عن الطائفة الأخرى، وسمت نفسها باسم صاحبها الذي أخذت عنه. أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون، وكانت هذه الحركة نوع من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقائدية والفكرية بنفس الأفكار والمناهج الوافدة وذلك دفاعاً ع الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه. ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهاً لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ثالثا : أهل السنة والجماعة

(الاشاعرة والماتريدية)

السنة لغة : الطريقة والسيرة .

السنة اصطلاحاً : الهدي الذي كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً ، وُتطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كماُ تطلق على ما يُقابل البدعة .

الجماعة لغة : من الاجتماع ، وهو ضد التفرق ، والجماعة هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما .

الجماعة في الاصطلاح : هم سلف الأمة ، من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة وعلى أئمتهم ، والذين ساروا على ما سار عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه والتابعون لهم بإحسان .

فأهل السنة والجماعة : هم المستمسكون بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين اجتمعوا على ذلك ، وهم الصحابة والتابعون ، وأئمة الهدى المتبعون لهم ، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين .

وهذه التسمية تشمل اهم الفرق الرئيسة وهي (الاشاعرة والماتريدية)

اولاً : الاشاعرة

الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)، ولد بالبصرة سنة (٢٧٠هـ)، الذي خرج على المعتزلة، وتسمية هذه الفرق نسبة الى صاحبها ابي الحسن الاشعري.

وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية .

ان مؤسس المذهب (الإمام أبو الحسن الأشعري) : كان أبو الحسن ربيب المعتزلة فقد تربى على موائدهم الفكرية وأقام على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماما .

وقد اخذ علم الكلام عن شيخه محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة ، ثم فارقه لمنام رآه ورجع عن الاعتزال واظهر ذلك إظهارا فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنا فلان ابن فلان كنت أقول بخلق القران وان الله لا يرى في الدار الآخرة بالإبصار وان العباد يخلقون أفعاله ، وها أنا تائب من الاعتزال معتقد الرد على المعتزلة ، ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم .

قال احمد أمين : ومع هذه الحقبة الاعتزالية والطويلة في مداها ، فقد بدا الأشعري يتحسس ويشعر بما آل إليه الفكر الاعتزالي من غلو وإسراف ، فقام يوجه الأسئلة إلى شيخه في الاعتزال – أبي علي الجبائي – وبدا يعقد المناظرات معه

ويناقشه في أمور أخذت تدور في خلده ، ولكنه في كل مرة كان لا يلقى من شيخه جوابا شافيا يهدىء من خواطره الثائرة .

يقول ابن عساكر : قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة وكان لهم إماما ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى إعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت إعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وأنخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس .

ويظهر من هذه النصوص إن الأشعري كانت تتردد في صدره فكرة التحول عن الاعتزال وانه لم يتحول عن الاعتزال إلا بعد موازنته لأدلة الفريقين : فريق أهل السنة ، وفريق المعتزلة ، وانه استهدى الله تعالى فهداه إلى الصواب وألهمه الأدلة التي ترجح له الطريق القويم .

ثانياً : الماتريدية

الماتريدية: فرقة كلامية ، تُنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الماتريدي (ت٣٣٣ه)، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

انتشرت الماتريدية، وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية: كالصين، وبنغلاديش، وباكستان، وأفغانستان. كما انتشرت في بلاد تركيا، والروم، وفارس .

اذا اطلق اسم اهل السنة والجماعة فالمراد بهم الاشاعرة والماتريدية ، والبعض الاخر يقول اهل السنة والجماعة هم الاشاعرة ، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية .

يوجد خلاف بين الفرقتين او الطائفتين في بعض الاصول الاعتقادية كمسالة التكوين، ومسالة الاستثناء، ومسالة ايمان المقلد، وبعض المسائل الاخرى، وان المحققين من كلا الفريقين لا ينسب احدهما الاخر الى البدعة والضلال بسبب هذه الخلافات، بعكس الفرق الاخرى .

الاصول الاعتقادية عند المذاهب الكلامية

الأصول في اللغة: جمع أصل، وهو أسفل الشيء وأصل الشيء، تأصل الجبل، وأصيل له أصل، ورجل أصيل ثابت الرأي والعقل .

والمراد بأصول العقيدة في الاصطلاح: القواعد التي يتركز عليها الدين والأسس التي يقوم عليها الايمان بحيث أنَّ فَقدْها أو فَقْدَ أحدها لا يكون معه إيمانٌ.

غير أن المذاهب الاسلامية اختلفت فيما بينها فيما يُعد من أصول العقيدة الإسلامية وما لا يُعَدّ منها .

ووفق هذا تكون اصول العقيدة هي القواعد التي تبنى عليها عقيدة كل مذهب، فأصول العقيدة عند أهل السنة تختلف في بعض جزيئاتها عن أصول العقيدة عند الشيعة وعند المعتزلة.

اولاً :: اصول العقيدة عند الشيعة الامامية الاثني عشرية

الأول: التوحيد: وهو تحصيل العلم والمعرفة بصانع هذا العالم والاعتقاد بوحدانيته في الالوهية، وعدم الشريك له في الربوبية واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والايجاد والعدم ولا مؤثر في الوجود إلا الله.

الثاني: النبوة: وهي الاعتقاد بأن الانبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مكرمون بُعِثُوا لدعوة الخلق الى الحق، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل.

الثالث: الإمامة: وهي الاعتقاد بأن الإمامة منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم بإتباعه، وأن الله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينص على الامام علي (رضي الله عنه) وينصبه إماماً للناس من بعده.

الرابع: العدل: وهو الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم.

الخامس: المعاد: وهو الاعتقاد بأن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء والمعاد يكون الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرآئي لقال هذا فلان .

ثانياً: اصول العقيدة عند المعتزلة

الأول: التوحيد: وهو العلم بأن الله واحد وأنه لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه، والاقرار به، ولابد من هذين الشرطين عندهم – العلم والإقرار، لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحداً.

الثاني: العدل: أي إن أفعال الله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه.

الثالث: الوعد والوعيد: وهو العلم بأن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلاف والكذب.

الرابع: المنزلة بين المنزلتين: هو العلم بأن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين (الايمان والكفر)،وحكم بين الحكمين.

الخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمقصود بالأمر بالمعروف إيقاعه والنهي عن المنكر زواله، وهذا مما يعلم عقلاً وشرعاً، حتى لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر فإذا ارتفع هذا الفرض ببعض المكلفين سقط عن الباقين .

ثالثاً : اصول العقيدة عند اهل السنة والجماعة

فإن أصول العقيدة عند أهل السنة والجماعة كان منشؤها قوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل (عليه السلام): (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

الأصل الأول: الايمان بالله تعالى: لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه، ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله.

الثاني: الإيمان بالملائكة: هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله، الكرام خَلْقاً وخُلُقاً الكرام على الله البررة ذاتاً وصفة وفعلا.

الثالث: الايمان بالكتب المنزلة: وهو التصديق الجازم بأنّها كلها منزلةٌ من عند الله عز وجل على رسله بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلامه تعالى.

الرابع: الايمان بالرسل: وهو الإيمان بكل من اوحي اليه بشرع، والايمان بهم لا يتجزّأ فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميع الرسل، ويكون الايمان بهم بالتصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم الى عبادته وحده وأن جميعهم

صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة اتقياء بالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل.

الخامس: الإيمان باليوم الأخر: وهو الاستيقان الجازم بأن المرد لله تعالى في يوم لا يعلم وقته أحد الا الله تعالى.

السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره: ويشمل الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يُفَرَّط فيه من شيء والإيمان بمشيئته النافذة وقدرته الشاملة فيما كان وما سيكون والإيمان بان الله تعالى خالق كل شيء من مخلوقاته .

الاصل الديني والاصل المذهبي

اصول الدين نوعان : ديني ،ومذهبي .

١. **الاصل الديني** : وهو الذي يكون منكره خارجاً عن دين الاسلام .

٢. الاصل المذهبي :وهو الذي يكون منكره خارجا عن دائرة المذهب، ولا يكون خارجاً عن دين الاسلام .

متى يصبح الاصل المذهبي اصل ديني : يصبح الاصل المذهبي اصل ديني، اذا اعتقد صاحبه ان هذا الاصل صدر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بقول او فعل او تقرير ، وبذلك يعد منكره خارجاً عن دين الاسلام ، وليس من دائرة المذهب

اصول الدين التي اجمعوا عليها :

اتفقت فرق المعتزلة والشيعة الامامية الاثني عشرية واهل السنة والجماعة على الاصول الاتية :

١. الايمان اجمالاً بوجود الله تعالى، واتصافه بصفات الكمال ، وتنزهه عن كل صفة من صفات النقص ،

٢. الايمان اجمالاً بالنيوة عامة ، ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) خاصة ، وما بلغ به من الله سبحانه وتعالى .

٣. الايمان اجمالاً باليوم الاخر ، والناس فيه مجزيون على اعمالهم .

هذه الاصول الثلاثة هي اصول دينية عند هذه الفرق جميعها ، وان الذي لا يؤمن باحداها يكون كافراً يخرج عن دائرة الاسلام بالاتفاق .

اصول الدين المختلف فيها :

وردت عند كل فرقة من الفرق الثلاثة اصول لم تذكرها الفرق الاخرى ، مما يوهم ان هناك اختلافا بينها .

عند التدقيق نرى ان من تلك الاصول ما هو راجع الى احد الاصول الثلاثة المتقدمة التي اجمعوا عليها ومنها ما هو منصوص عليه لاعتبار معين ، فيكون اصلاً مذهبياً بمعنى ان الذي لا يؤمن به يخرج من المذهب لا من الدين .

ومن الاصول التي تخرج منكرها من دائرة المذهب ، ولا تخرجه من دائرة الاسلام ،**وهي:(المنزلة بين المنزلتين)عند المعتزلة، (والامامة) عند الشيعة الامامية الاثني عشرية، (والايمان بالقدر) عند اهل السنة والجماعة .**

وبذلك نجد ان الاختلاف المتقدم بين المذاهب الكلامية هو اختلاف صوري ، وليس اختلافاً حقيقياً .

رابعا : الشيعة الزيدية

الزيدية: (التعريف ، والنشأة)

هي المدرسة الكلامية التي ساقت الإمامة الى كل فاطمي عالم عدل شجاع خرج بالسيف ، فآثرت زيداً على أخيه الأكبر محمد الباقر ابني علي ابن الحسين زين العابدين ؛ لأن زيداً خرج بالسيف خلافاً لأخيه ، ثم ساقت الإمامة بعد زيد إلى ابنه يحيى ، ثم الى سلسلة من الإئمة الخارجين بالسيف ؛ إذ الخروج أهم مبدأ لدى الزيدية ، سواء كان الخارج حسنياً أم حُسينيا. فالزيدية تبنت مبدأ الإمامة السياسية ، وجعلت "الخروج" مبدأ أساسياً ،أي اعتمدت أسلوب المعارضة باستخدام "سلاح السيف".

إذا فالزيدية ترجع إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهم أجمعين (٨٠ - ١٢٢هـ/ ٦٩٨ - ٧٤٠م) .

وقد جوز الزيدية (عدا الجارودية منهم) أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة إماما واجب الطاعة ، سواء أكان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين "، ولم يشترطوا في الإمام أن يكون معصوماً ولهذا ايضا لم يعترفوا بمبدأ الوراثة المباشرة في الإمامة واعترفوا (عد الجارودية منهم) بشرعية خلافة ابي بكر وعمر ولم يعلنوا البراءة منهما ، وذلك تطبيقاً للقاعدة العامة المشهورة التي وضعها زيد في الامامة وهي القول " بجواز إمامة المفضول مع قيام الافضل ، ومعنى ذلك

أن علياً أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوّضت لابي بكر لمصلحة دينية ، لذا فبيعته ليست خطأ ولا توجب كفراً ولا فسقاً ".

والزيدية يرجعون في الأصول الى الاعتزال ، وفي الفروع الى مذهب أبي حنيفة ، الا في مسائل قليلة ، وتجدر الاشارة إلى أن بعضاً من علماء الشيعة الامامية لا يعتبرون الزيدية شيعة لانهم (لا يوجبون النص) ويقولون أن الامامة تكون بالاختيار فمن اختير من قبل أهل الحل والعقد صار إماماً واجب الطاعة ، ويستثنون منهم الجارودية الذين قالوا:(ان النبي نص على علي بن ابي طالب بالوصف لا بالحكم فكان هو الامام من بعده وزعموا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي).

ثانيا : أفكار ومواقف الزيدية :

أهم ما تميزت به الزيدية من سائر الشيعة. أنهم يقولون :

١. يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل وصحتها .

٢. أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضي الله عنه بوصفه لا بشخصه ، والصحابة لم يتعمدوا المخالفة .

٣. وأن الإمام ينبغي أن يكون علوياً فاطمياً زاهداً سخياً شجاعاً وأن يخرج داعياً إلى نفسه آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر .

٤. وهم يجوزون تعدد الأئمة في قطرين متباعدين إذا دعت الحاجة ، ولا يقولون بعصمة ، ويقصرون مهمة الإمام على حفظ الشريعة وتنفيذها فقط .

٥. كما أنهم تميزوا برفضهم التقية ، وإنكارهم العصمة ، وأنكارهم المهدية والرجعة كما أنهم تميزوا بفقههم في الفقه والأحكام والمواريث الذي هو أقرب إلى مذاهب أهل السنة الفقهية .

٦. أما في مسائل العدل والتوحيد فقد تبنوا في الغالب آراء المعتزلة ومناهجهم الكلامية ، ولعلهم أول الفرق تأثرا بالمعتزلة حتى ليقول ابن المرتضى إن زيداً قبل الأصول الخمسة إلا الأصل المتعلق بالمنزلة بين المنزلتين.

خامسا : الشيعة الاسماعيلية

الشيعة الاسماعيلية :

هي الفرقة التي بدأت إمامية، ثم افترقت عنها عندما ساقت الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق – الإمام السادس في سلسلة الأئمة لدى الإمامية الاثني عشرية – إلى ابنه الأكبر إسماعيل بن الامام جعفر الصادق -الذي لا تعترف الشيعة الاثنا عشرية بامامته - مع ما أُشيع من أنه مات في حياة أبيه ، ثم إلى ابنه محمد ابن اسماعيل الذي اعتبرته إماماً مستوراً ، ثم في سلسلة أبنائه ، واتخذت مبدأ الإمامة الباطنية القائمة على الرمز ، وأن لكل ظاهر باطن ، هادفة – بذلك- إلى إخفاء مقاصدها واعتمدت أسلوب المعارضة باستخدام سلاح " الحركات السرية".

تستمد هذه الفرق اسمها من أنها خلاف الاثنا عشرية تختتم سلسلة أئمتها الظاهرين بالإمام السابع ، وهو اسماعيل ، ولذلك تسمى أيضا بالشيعة (السبعية)، وكان قد توفي في حياة ابيه فاختلفت الشيعة بسبب ذلك في سوق الإمامة من بعد ، فترى الأمامية الاثنا عشرية أن الصادق نقل الامامة من بعده الى اخيه الكاظم وهو الامام السابع في سلسلة الاثني عشرية ، أما الاسماعيلية السبعية فقد اعتقدوا بأن " النص لا يرجع القهقري والفائدة من النص بقاء الامامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره " ، فلا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين عليهما السلام ولا تكون الا في الاعقاب "، ومن ثم فالأمام على رأيهم بعد اسماعيل هو ابنه محمد . وهنا تفترق الاسماعيلية الى شعبتين رئيستين، شعبة وقفت في موت محمد بن اسماعيل (الملقب بالمكتوم)وقالت برجعته بعد موته وانتظرته مهدياً يبعث ، وهؤلاء هم القرامطة . وشعبة ساقت الامامة من بعده في سلسلة متصلة – مع اختلاف في ترتيب اشخاصها – كانوا في رأيهم أئمة مستورين مختفين اجتنبوا المجاهرة بالدعوة الى اللحظة التي أثمرت فيها الحركة الاسماعيلية بظهور الامام الشرعي في شخص عبيد الله المهدي – مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب – الذي هو أول الأئمة الظاهرين .

ثانيا : تعاليم وافكار الاسماعيلية :

تقوم تعاليم الاسماعيلية على المزج بين " مذاهب دينية مختلفة وآراء سياسية واجتماعية متعددة ومبادئ فلسفية وعلمية متنوعة " ، ومذهبهم في جوهره يعتمد الى حد كبير على تلك الصفة المقدسة التي كان يتمتع بها العدد سبعة في بلاد المشرق ، يقول الشهرستاني : « إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج..»، ومن هذه التعاليم والافكار :

١.نظرية التعليم :

وهي تقوم على التشكيك في العقل وأنه قابل للخطأ والصواب ، ولذا لا ينبغي الاعتماد عليه في أمر الدين الذي يتطلب اليقين ، فالعقل وحده عاجز عن معرفة الله ومن ثم كان من الضروري الاعتماد على مصدر آخر هو المعلَّم المعصوم أي الامام الاسماعيلي ،الذي هو وحده الطريق الى معرفة الله ومعرفة احكام الدين ، بل هو قوام الكون كله .

٢.نظرية التوحيد :

وتقوم على التنزيه المطلق كما يسمونه ، أو تعطيل الذات عن صفاتها في الحقيقة : " إنا لا نقول هو موجود ولا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز .. وكذلك في جميع الصفات ، فان الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات " وهم لا يعتبرون هذا تعطيلا ،وهذا " التوحيد " الذي يخالف صريح القرآن وإجماع المسلمين هو ما تقول به الافلاطونية في كتاب " الخير المحض" تماما .

٣.نظرية المثل والممثول .

وتقوم على المحاكاة والمقابلة بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو – حسب المصطلحات الاسماعيلية – بين الحدود العلوية والحدود السفلية ، فكل حد هنا في عالم الدين هو مثل يمثل حداً علوياً هو ممثوله الموجود في الملأ الأعلى . وهذه النظرية كما يقول أحد رجالهم المعاصرين " هي قوام عقيدة الفاطميين في التأويل وفي جميع مناسك الدين" ، والواقع أن أساس هذه " العقيدة" هو نظرية " الفيض" الأفلاطونية التي استعانت بها الاسماعيلية لكي تنفذ الى صميم الديانة الاسلامية ، وتعمل على تعديل احكامها وعقائدها .

سادسا: الخوارج

أولا : التعريف بالخوارج .

الخوارج يقال لهم : (الحرورية) نسبة إلى قرية خرجوا منها يقال لها حروراء ، والخوارج في اللغة : جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج ، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خَرج) على هذه الطائفة من الناس ؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي رضي الله عنه أو لخروجهم على الناس .

الخوارج: الحرورية؛ والخارجية: طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس.

أما في الاصطلاح : فقد اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج ،تبعاً لاختلاف صفاتهم وخصائصهم ، وحاصل ذلك :

١- من عرفهم تعريفاً سياسيا عاماً ، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان . قال الشهرستاني : «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.»

٢- من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام .قال الاشعري:« والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب.».

٣- ومنهم من يقول : أن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن ، يقول ابن حزم : «ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وإن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي ».

والتعريف الأول من أشمل التعريفات ، وهو يربط بين أفكار الماضين منهم واللاحقين .

ثانيا: نشأة الخوارج .

اختلفت آراء الباحثين والمؤرخين حول أصل نشأة الخوارج في الإسلام ، وسنورد أهم الآراء التي قيلت في ذلك والراجح منها .

الرأي الأول : كان أصل ظهورهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ويستند أصحاب هذا القول إلى ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه ، وهو باليمن بذهبة في تربتها، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني

كلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان، قال: فغضبت قريش، فقالوا: أتعطي صناديد نجد وتدعنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم» فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتق الله، يا محمد، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟» قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله : «إن من ضئضئ هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون، أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» .

وليس المراد هنا – والله أعلم – أنهم سيكونون من ذريته وإنما المراد أنهم على شاكلته وصفته ، قال الحافظ ابن كثير: وليس المراد به أنه سيخرج من صلبه ونسله، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا، بل ولا أعلم أحدا منهم من نسله وإنما أراد " من ضئضئ هذا " أي من شكله وعلى صفته فالله أعلم. وهذا لرجل هو ذو الخويصرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصا.

الرأي الثاني : السبئية .

يذهب بعض كتاب الفرق والمؤرخين إلى أن للسبئية بزعامة عبد الله بن سبأ أثراً ظاهراً في نشأة الخوارج مستندين في ذلك إلى روايات أوردها الطبري ذكر فيها أن بعضاً من زعماء الخوارج اشتركوا في مقتل عثمان رضي الله عنه وأن كثيرا ممن كان مع علي رضي الله عنه في موقعة الجمل بذلوا جهوداً مضنية لإثارة الفتنة وعدم الصلح بين الفريقين حتى لا يؤاخذوا على اشتراكهم في مقتل عثمان رضي الله عنه.

الرأي الثالث : حادثة التحكيم .

يذهب كثير من مؤرخي الفرق إلى أن حادثة التحكيم كانت السبب الرئيس في ظهور الخوارج . وتتلخص قصة التحكيم في أنه لما أشتد القتال بين علي عليه السلام وجيش معاوية في موقعة صفين عام ٣٧ه ، وعندما قبل علي عليه السلام التحكيم خرج جماعة من أتباعه وقالوا: تحكمون الرجال في أمر الله تعالى – لا حكم إلا لله تعالى ، ولم يدخلوا الكوفة مع علي فأتوا حروراء ؛ ولذا سموا بالحرورية .

الرأي الرابع : المطالبة بدم عثمان رضي الله عته.

ومن الأقوال البعيدة في بيان أصل نشأتهم ما عزاه ابن حجر – رحمه الله – إلى الرافعي في الشرح الكبير ، من أن أصل بدعتهم أنهم خرجوا على علي عليه السلام حيث اعتقدوا أنه يعرف قتلة عثمان رضي الله عنه ، ويقدر عليهم ولا يقتص منهم لرضاه بقتله أو مواطأته إياهم ، قال ابن حجر رحمه الله :« كذا قال وهو خلاف ما أطبق عليه أهل الأخبار فإنه لا نزاع عندهم أن الخوارج لم يطلبوا بدم عثمان بل كانوا ينكرون عليه أشياء ويتبرؤون منه».

الرأي الخامس : القراء

تناول بعض الباحثين ومدى علاقتهم بنشأة الخوارج ، ولعل الباعث على هذا هو ما اشتهر عن الخوارج من تسميتهم بالقراء لكثرة اجتهادهم في القراءة، كما قال ابن حجر عنهم رحمه الله:« كان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع »

ثالثا : آراء الخوارج الدينية

اختلف كتاب الفرق فيما اجمع عليه الخوارج من آراء . فيرى الكعبي والشهرستاني ، أن الذي يجمعهم هو :

١.اكفارعلي وعثمان والحكمين ، عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري واصحاب الجمل ، وعائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير وكل من رضي بتحكيم الحكمين .

٢. تكفير مرتكب الكبيرة واعتباره كافرا مخلدا في النار .

٣. وجوب الخروج على الإمام الجائر . اذ جوزوا ان تكون الامامة خلافا لأهل السنة في غير قريش ، وبالانتخاب الحر خلافا للشيعة الذين قالوا ان الامامة بالنص والتعيين .

رابعا : فرق الخوارج

كان الخوارج من الفرق التي انقسمت وتفرقت إلى فرق متعددة ، بل إن البغدادي يبلغ تعداد فرقهم الى عشرين فرقة ، وكثرة التفرق إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأصول والأسس التي قامت عليها تلك الفرق ليست مستقيمة ، ولم تكن

مبنية على أسس متينة على العلم والاعتماد على الكتاب والسنة ، ومن رحمة الله بالناس أن الخوارج تفرقوا فيما بينهم، ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين ، الخوارج كانوا يختلفون ويتفرقون لأتفه الأسباب فتفرقوا فرقاً كثيرة قد لا يكون ضرورياً عدها هنا فإن بعض تلك الفرق انتهى في وقته.

وأما عددهم فأعداد مختلفة؛ "فنجد الأشعري مثلاً يعد فرق الخوارج أربع فرق، وغيره يعدها خمساً، وبعضهم يعدها سبعاً ،وبعضهم ثمانياً ، وآخرون خمساً وعشرين، وقد تصل إلى أكثر من ثلاثين فرقة، والواقع أنه يصعب معرفة عدد فرق الخوارج" ، والسبب في ذلك يعود إلى:

١- أن الخوارج فرقة حربية متقلبة.

٢- أن الخوارج كانوا يتفرقون باستمرار لأقل الأسباب.

٣- أن الخوارج أخفوا كتبهم.

ومن فرقهم:

١ : الازارقة وعقائدهم .

الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، وهم أكثر الخوارج عدداً وأشدهم شوكة .

وأهم عقائدهم:

١- أنهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مُشركاً ، وإن كان على رأيهم.

٢- أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى انه منهم ، وذلك بأن يسلموه أسيراً من مخالفيهم وأطفالهم فيأمروه بقتله .

٣- أن أطفال مخالفيهم مشركون ، يخلدون في النار .

٤- انهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم .

٥-قطع يد السارق من المنكب ، وابطال رجم الزاني المحصن .

٢ : النجدات وعقائدهم

النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، الذي انشق عن نافع، وخفف بعض غلوه.

*** وأهم عقائدهم:**

١- تكفير من خالفهم من المسلمين - ومن ذلك الأزارقة - إلا الجاهل ، فإنه معذور عندهم حتى تقام عليه الحجة.

٢- الحكم على دار مخالفيهم بأنها دار نفاق لا دار كفر.

٣- موالاة أصحاب الحدود والجنايات، إذا كانوا على مذهبهم، مع الحكم بتخليدهم في النار.

٤- أن المؤمن -وهو من كان على مذهبهم- لا يكفر بمجرد فعل الكبيرة، كما تقول الأزارقة بل بالإصرار على المعصية كبيرة كانت أم صغيرة.

٣ : الاباضية وعقائدهم

الأباضية : وهم أتباع عبد الله بن أباض التميمي، الذي انشق عن نافع أيضاً، وهم يعظمون أبي الشعثاء جابر بن زيد أحد التابعين، وينسبون مذهبهم إليه. والأباضية هي الفرقة الوحيدة من الخوارج، التي استمرت إلى عصرنا الحاضر، ولهذا تأثرت بما حدث من فرق وبدع بعد القرن الأول، وخاصة بـالمعتزلة.

- **وأهم عقائدهم:**

١- إنكار صفات الله تعالى، موافقة لمذهب المعتزلة .

٢- أن القرآن مخلوق.

٣- أن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون ، لذا فمناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال ، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة .

٤- أن من يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة كافر.

٥- التأويل، فهم يؤولون في الصفات، كما يؤولون الصراط والميزان.